الافتتاحيّة

التديّن: الوجهة العمليّة للدين

حسن أحمد الهادي[1]

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد ﷺ وآله الطاهرين عليهم السلام، وصحبه المنتجبين، وبعد...

البحث عن حقيقة الدين والتديّن وفلسفته من القضايا التي شغلت الأرض؛ بما تمثّل من فكر إنسانيّ، والسماء؛ بما تمثّل من تشريع إلهيّ. فقدّم أهل الأرض بعلمائها وحكمائها وفلاسفتها على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم الفكريّة - الدينيّة منها والوضعيّة - من فلاسفة، وعلماء نفس، واجتماع، وغيرهم، رؤاهم عن طبيعة الدين والتديّن وفلسفة وجوده في الحياة. وأعطت السماء حكمها الواضح بواسطة الوحي والأنبياء عليهم السلام عن حقيقة الدين وغايته، ووظيفة الإنسان تجاه الدين والتديّن، حيث قرنت بين تكليف الإنسان في الحياة الدنيا، وتفضيله على سائر المخلوقات، وتحميله الأمانة الإلهية؛ بوصفه خليفةً لله على الأرض، وبين اعتقاده الصحيح وإيمانه الراسخ، وحضور الدين عقيدةً، والتديّن ممارسةً وسلوكًا، في فكره وحياته على مستوى السلوك والممارسة.

وبين تشريع السماء هذا، وتعدّد نظريّات أهل الأرض وفلاسفتها في نظرتهم

(1) رئيس التحرير.

إلى الدين ودوره في الحياة، توالدت مناهج ومذاهب ومدارس ونظريّات عدّة عن حقيقة الدين وعلاقته بحياة البشر وتأثيره في المجتمعات البشرية، فإنّ "علم الدين" له سابقة في تاريخ البشريّة منذ بزوغ الدين؛ لأنّ الإنسان إذا لم يعرف شيئًا لم يلتزم به ولم يتّجه إليه، وإنّ الدراسة المنتظمة للدين، ومعرفته طبقًا لأصول التّحقيق ومبانيه، بات ذا أهمّيّة في العالم الحديث وضروريًّا للجميع. ولهذا فإنّ "علم الدين" في المجاميع الفكريّة والدّينيّة المعاصرة، بات مورد العناية والفحص والتّحقيق في أبعاد الدين المختلفة.

وفي قلب هذه الأفكار الهائجة المرتبطة بالدين والتديّن، يؤكّد الفلاسفة المسلمون أنّ الدِّين قرينُ الإنسان، والإنسانُ منذ خلقته يحسّ في باطنه بالحاجة إلى الدِّين، وبهذا الظمأ الفطريّ كان يبحث عن الدِّين؛ كي يروي ظمأه بالوصول إليه. ولذا، بعد أنْ أطلق علماء الاجتماع والأناسة على الإنسان في القرون الماضية لقب الموجود المستوي القامة، والفاعل في صناعة الآلات، والسياسيّ، أصبحوا اليوم يتحدّثون عنه بعنوان الموجود المتديّن؛ وذلك أنّ المحقّقين أثبتوا في بحوثهم التّاريخيّة عدم خلوّ أيّ قوم من أقوام البشريّة من نوعٍ من أنواع الدِّين. كما أنّ أحدث الأبحاث الاجتماعيّة تثبت اعتقاد 95 % من الناس بالله وبتديّنها بدينٍ من الأديان، وهذه الحقيقة تُبطل النّظريّة القائلة بانحطاط الدّين جرّاء تطوّر المجتمع وازدياد الرّفاه المادّيّ. والسرّ في ذلك أنّ الإنسان مفطورٌ على الدّين، وأنّ هويّته الوجوديّة في الخلقة مجبولةٌ على الدّين[1]. وفي هذا السياق يقول بيتر برغر أحد علماء الاجتماع البارزين في بحثه عن مناهضة العلمانيّة في العالم: «لا بدّ من الإذعان بأنّه لا يمكن القول بأنّنا نعيش في عالمٍ علمانيٍّ، وعدا بعض الاستثناءات؛ فإنّ العالم الذي نعيش فيه -كما هو في السابق- مليءٌ بالإحساس الدّينيّ، وهذه الأحاسيس تفوق في بعض الأماكن عمّا كانت في الماضي»[2].

(1) انظر: آملي، جوادي: الدين، ترجمة: هاشم الميلاني، ص1 (غير مطبوع).
(2) افول سكولاريزم، ص 18. نقلاً عن: آملي، الدين، م.س، ص4.

وعليه يبقى الدين حاجة طبيعيّة للإنسان؛ وذلك لأنّه يميل إلى الدين فطريًّا، غير أنّه لأجل الوصول إلى الدين الحقّ في بعده النّظريّ والعمليّ، لا بدّ وأن يقوم بالبحث والتّحقيق ليقبله عن اعتقادٍ جازمٍ، ويلتزم ببرامجه العلميّة عن بيّنة ووضوح تامَّين.

مفهوم الدين:

خلط كثير من الباحثين بين الدين والتديّن، وحمّلوا الدين الكثير من المغالطات والأخطاء الناشئة من التديُّن بما هو عمليّة ينتهجها الإنسان الملتزم دينيًا وتختصّ بالأفراد، بل لا شيء من الممكن أن يلحق ضررًا بالدين كالتديُّن السيّء والمشوَّه، كما هو الحال مع الحركات التكفيريّة في عصرنا الراهن...، وهذا التديُّن المشوّه لا يمكن مواجهته إلّا بتديّنٍ سليمٍ، وإذا استطاع هؤلاء أن يقدّموا تجربةً عمليّةً مشوّهة عن الإسلام، فإنّ من الأَولى أن يقدّم المسلمون بالمقابل تجربةً عمليّة حضاريّةً متكاملةً وشاملة عن الإسلام؛ ذلك أنّ الإدانات الكلاميّة والخطابيّة، والإحالة على النصوص الدينيّة، لا تكفي لمواجهة الفكر التكفيريّ ودحضه.

ولهذا لا بدّ في مقام تحديد مفهوم الدين من تجنّب الخلط بين الدين والتّديّن، والدين والإيمان، والحال أنّ الإيمان والتديّن يختلفان عن الدين؛ لأنّ الإيمان والتّديّن وصفان للإنسان، أمّا الدين فهو حقيقةٌ رساليّةٌ أتاحها الله تعالى للإنسان. لذا في مقام تعريف الدين يمكن القول بأنّ «الدين مجموعة عقائد وقوانين ومقرّرات ناظرة إلى الأصول النظريّة والعمليّة للبشر، كما أنّها تشتمل على الأخلاق وتغطّي جميع شؤون حياة البشر. وبعبارةٍ أخرى، الدين مجموعة عقائد وأخلاق وقوانين ومقرّرات أُنزلت لإدارة الفرد والمجتمع وتربية الإنسان عن طريق الوحي والعقل»[1].

(1) آملي، الدين، م.س، ص9.

وعليه يتكوّن الدين المبتني على الوحي من أقسام عدّة؛ قسم يشتمل على العقائد؛ أي الاعتقاد بحقائق الكون على أساس التوحيد؛ كالاعتقاد بوجود الله، الوحي والنبوّة، القيامة والمعاد، الجنّة والنار، وأمثالها، وقسم منه يشتمل على الأخلاقيات؛ أي التعاليم التي تعرّف الإنسان على الفضائل والرذائل الأخلاقيّة، وتهديه إلى طرق تهذيب النّفس من تلك الرذائل والتخلّق بالفضائل. وقسم آخر منه يشتمل على الشرائع والمناسك والأحكام التي تقرّر علاقة الفرد مع خالقه ومع نفسه ومع الآخرين، بل ومع كلّ شيء في الوجود، ويقع ضمن هذا القسم العلاقات الاجتماعيّة والحقوقيّة والمدنيّة والسّلوك الاجتماعيّ، والعلاقات الاقتصاديّة والسياسيّة والعسكريّة وغيرها...

الدين الحقّ والدين الباطل:

يُوصف الدّين تارة بالحقّ، وتارة أخرى بالباطل؛ لأنّ مجموعة العقائد والأوصاف الأخلاقيّة والأحكام الفقهيّة والحقوقيّة؛ إمّا أن تكون حقًّا، أو باطلًا، أو مزيجًا من الحقّ والباطل. فالدين الحقّ، هو مجموعة العقائد والأخلاق والمقرّرات الحقّة، وعلى العكس يكون باطلًا، سواء أكان باطلًا محضًا أم ممزوجًا بالحقّ؛ إذ إنّ الجامع بين الحقّ والباطل يلحق بالباطل دون الحقّ. ويصف القرآن الكريم تعاليم الأنبياء عليهم السلام بالحقّ؛ لأنّ العقائد والمقرّرات والأخلاق منزَّلة من الله سبحانه فهو حقّ. وإنّ الله -تعالى- يقول لنبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾[1]، وفي آية أخرى: ﴿وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾[2]. والإسلام هو الدين الحقّ؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ الِّدينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[3]، والذي لا يقبل الله من أحد إلا انتخابه والاعتقاد به، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[4]. وأمّا

(1) سورة آل عمران، الآية 60.
(2) سورة التوبة، الآية 29.
(3) سورة آل عمران، الآية 19.
(4) سورة آل عمران، الآية 85.

الدين الباطل فهو ما جاء به الطواغيت بلا فرق بين استنادهم إلى فكر فلسفيّ معيّن أو الاستناد إلى أفكار ومعتقدات خاصّة أخرى.

حيرة البشر وفشل التشريعات الوضعيّة في تحقيق السعادة:

إنَّ مشكلة العالم التي تملأ فكر الإنسانيّة اليوم، ولها صلة بقضيّة تشريع نظام يكفل حقوق البشر، ويؤمّن متطلّبات المجتمع الإنسانيّ، هي مشكلة النظام الاجتماعيّ؛ لأنَّ النظام داخل في حساب الحياة الإنسانيّة، ومؤثِّر في كيانها الاجتماعيّ بالصميم، وهذه المشكلة عميقة الجذور في الأغوار البعيدة من تاريخ البشريّة، وقد واجهها الإنسان منذ نشأته في واقع الحياة الاجتماعيّة[1]. وعلى الرغم من كلّ المحاولات التي بذلها الفكر الإنسانيّ في هذا المجال يبقى التشريع الوضعيّ (البشريّ) مشوبًا بالضعف والنقص، إذ لم يستطع المشرّع البشريّ أن يتحرَّر فكريًّا من خلفيّاته ودوافعه الذاتيّة، وفي كلّ الحالات، فإنّ النظام الذي يضعه الإنسان لا يمكن أن يكون جديرًا بتربية هذا الإنسان، لأنّ النظام الذي يصنعه الإنسان الاجتماعيّ يعكس دائمًا واقع الإنسان الذي صنعه، ودرجته الروحيّة والنفسيّة[2] في هذا المجال.

وبالنتيجة يمكن القول: إنّ مشكلة الإنسان الاجتماعيّة والتاريخيّة هي مشكلة القانون والنظام والضبط الاجتماعيّ. ومشكلة القانون والنظام والضبط الاجتماعيّ هي الإنسان نفسه، ومن المعلوم تاريخيًّا أنّ القوانين البشريّة منذ بدايتها عند الشعوب القديمة، قد فرضتها ظروف الحياة، فتارة تستند إلى العرف؛ بما هو مجموعة من القواعد والممارسات التي يباشرها الناس وتستمدّ قوّتها من اتّفاق الجماعة عليها، وأخرى يكون مبدأ القوّة هو الذي يُنشىء الحقّ ويحميه، وثالثة يفرض الملوك والأمراء ونحوهم من

(1) انظر: الصدر، محمد باقر: المدرسة الإسلاميّة، ص11.
(2) انظر: م.ن، ص29.

الساسة والسلاطين ورؤساء العشائر تشريعات اجتماعيّة أو فرديّة، وفق ما ينسجم مع حاجيّاتهم، فكانت سلطة ربّ الأسرة مثلاً تتناول أرواح أفراد الأسرة وأموالها، إلى ما هنالك من السنن والشرائع التي وضعها البشر وطوّروها على مستوى الشكل والمضمون والاصطلاح، مع أنّ الروح واحدة.

لهذا كلّه كان التشريع السماويّ الذي يصدر من حكيم خبير محيط بجميع الأشياء لا يضلُّ ولا ينسى منزّهًا عن الغرض والهوى، وبعيدًا عن جميع المؤثّرات والانفعالات، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي الوقت نفسه يربّي في النفس طهارة القلب وقوّة الإحساس بالواجب، ويعتني بتوثيق العلاقة بين الإنسان وربّه، وبين أفراد المجتمع مع بعضهم البعض، ويحثُّ على الطاعة، ويبشِّر العاملين به أجرًا عظيمًا، وثوابًا جزيلاً في الآخرة. كلّ ذلك بهدف إدخال كلّ نشاط وعلاقة إنسانيّة ظاهرة بين الأفراد والجماعات والدول في دائرة التنظيم والضبط الحسابيّ الموزون؛ وذلك لأنّ الوجود في الإسلام مبني على رفض الفوضى والعبث والضياع، اعتمادًا على المبدأ القرآنيّ القائل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾[1]، وقوله -تعالى-: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[2]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[3]. ولهذه الغاية أرسل الله تعالى الأنبياء والرسل عليهم السلام، وأنزل الكتب السماويّة والرسالات والشرائع الإلهيّة منذ بداية البشريّة مع النبي آدم عليه السلام، وحتّى خاتم الأنبياء محمّد بن عبد الله ﷺ، الذي أرسله الله بأعظم شريعة للبشريّة وأكبرها؛ وهي الرسالة العالميّة الخالدة والخاتمة، وفوَّض إليه تبليغ الشريعة والرسالة ودعوة الناس أجمعين إلى الالتزام بها.

(1) سورة المؤمنون، الآية 115.
(2) سورة الفرقان، الآية 2.
(3) سورة الرعد، الآية 8.

المجتمع الغربيّ بين دَفّتي الفكر الإلحاديّ والمادّيّ:

لقد وُضع المجتمع الغربيّ بأسره منذ القدم بين دَفّتي الفكر العلمانيّ المادّيّ الذي عمل على فرض سطوته على تصوّر الإنسانيّة للوجود والمعرفة والقيم الأخلاقيّة، والفكر الإلحاديّ الذي يرتكز عليه الملاحدة لإنكار وجود الخالق والبعث وعالم الغيب، وإثبات بُعد الأديان عن الحقائق العلميّة، والادّعاء أنّ المعتقدات الدينيّة هي محضُ أساطير وخرافات، مع أنّ كلّ أفكارهم ومبانيهم لا تخلو من المغالطات والتهافت والادّعاءات التي لا تقف في وجه البحث العلميّ وحقائقه التجريبيّة...، غير أنّها انتشرت في المجتمعات الغربيّة المادّيّة، وكان لها بالغ الأثر في ضياع أبنائه وتفكّك أُسَرِه واضطراب بنيانه الاجتماعيّ؛ ما أثّر تأثيرًا مباشرًا على الحياة الإنسانيّة، وانعكس على المجتمع الإنسانيّ، والشخصيّة الدينيّة والاجتماعيّة والسياسيّة للبشر، وتحوّل هذا المجتمع الكبير إلى مجتمع أسير وتابع في فلسفة وجوده، ونمطه في الحياة لتلك الرؤى والأفكار والفلسفات المادّيّة المحضة والإلحاديّة المتهافتة، وأدّى بالنتيجة إلى التشتّت الدينيّ وتعلّق الناس بالخرافات والمادّة والشهوات؛ بديلًا عن الآلهة، وتحوّلت الحياة الاجتماعيّة إلى ما يشبه الصحراء الهائجة برمالها؛ لتبتلع الضعفاء والفقراء، وتسيطر على العقول والأفكار الشهوات وحبّ الجاه والمال...، وعلى هذا فقس من السياسة والحكم، والحقوق البشريّة وغيرها. وإذا كان الدين خطيرًا - كما يدّعي الملاحدة – اليوم؛ لأنّه يؤدّي إلى العنف والحروب، فالعلمانيّة المادّيّة اليوم والرأسماليّة المتوحّشة، هي من يصنع الحروب، ويدمّر الحياة على هذا الكوكب الصغير، بالتلوّث والاستغلال المُفرط لثرواته الطبيعة في العديد من بقع الجغرافيا في هذا العالم..!

والمؤسف أكثر في هذا المشهد أنّ النهضة والحداثة الغربيّة قد جاءت بحجّة إحياء الإنسان وإنقاذه من الهلاك والضياع، عبر جعل العقل سيّدًا وموجّهًا له في بناء تصوّراته عن نفسه وعن الوجود. إلى جانب ردّة

الفعل عن الدور السلبيّ للكنيسة في القرون الوسطى، جاءت العلمانيّة - المادّيّة؛ لتقدّم نفسها بديلًا، حيث عمل من خلالها الإنسان الغربيّ على إنتاج أنظمته الفكريّة والقانونيّة والاجتماعيّة؛ بعيدًا عن الكنيسة، لينتهي به المطاف بالوصول إلى حداثة مادّيّة، أُعلِنَ فيها عن «**موت الإله**» أوّلًا، ثمّ تلاها إعلان «**موت الإنسان**» ثانيًا!؟ هذا الإنسان الذي تحوّل إلى آلة للإنتاج والاستهلاك، بعدما توهّم - حينًا من الدّهر- أنّه صاحب الأمر والنهي في مملكة الوجود..!

وإذا كان إفلاس الحداثة والعلمانيّة على مستوى عجزها عن ملء الفراغ الرّوحـيّ، قد بدا واضحًا، فإنّ إبعادُ الدّين والتديُّن من حياة الشعوب والأفراد، جعل من الإنسان الغربيّ المعاصر إنسانًا مشوّهًا، بعدما فشل في إقامة التوازن بين المطالب المادّيّة للحداثة، والنوازع الرّوحيّة الإيمانيّة الغيبيّة. أمّا البديل الذي استندت إليه الحضارة الغربيّة، المتمثّل في اعتماد العلم والمنهج التجريبيّ أساسًا ومنطلقًا لكلّ تصوّر، فقد انتهى به المطاف إلى العجز عن تقديم أجوبة دقيقة ونهائيّة على العديد من الأسئلة المصيريّة. وظلّ السؤال المُحيّر عن معرفة الإنسان لذاته، باعتباره سُؤال الأسئلة، محيّرًا!؟ بعدما عجزت سائر العلوم عن الإجابة عنه. الأمر الذي دفع العقل الغربيّ للتفكير في إعادة النظر في مدى جدارة العلوم على الاستجابة لمطالب إنسانيّة نوعيّة لم تقدر على بلورتها إلى الآن.

هذا مع العلم أنّ الإنسان -كما هو ثابت- ليس كائنًا ذا بُعدٍ واحد، هو البُعد الجسديّ والمادّيّ المحض، بل هو جملة من الملكات والقوى غير الحسّيّة أيضًا. وهو يختلف عن سائر المخلوقات بكونه كائنًا نوعيًّا يتفرّد بقيمة العقل النظريّ والعمليّ، وغياب هذا التصوّر جعل مفهوم العقل والعقلانيّة يتشوّه في الحداثة الغربيّة المادّيّة؛ لأنّها انحازت لتصوّر مادّيّ تجريبيّ لدور العقل، في مقابل التغافل عن أبعادٍ أخرى للعقل والتعقّل، ليست بالضرورة مادّيّة وحسّيّة. وهو ما دفعهم نحو الرفع من شأن التقدّم

العلميّ والصناعيّ، وجعل الرفاه الاقتصاديّ واستهلاك البضائع هدفا نهائيًّا لهم، ومع هذا لم تستطع سوى تلبيّة جوانب مادّيّة محسوسة للإنسان، وعجزت عن تحقيق السعادة الحقيقية وراحة النفس واطمئنانها، لأنّها اعتبرت الإنسان مجرّد كائنٍ مادّيّ يكفي أن يُلبِّي مطالب جسده وغرائزه، ليحقّق غايته في السعادة والشعور بالأمان الروحيّ. وهكذا، وجدت الحضارة الغربيّة نفسها أنّها أمام إنسانيّة عبثيّةٍ - عَدميّة، تعيسةٍ وحائرة، معذّبة وفاقدة للمعنى وللأمن والأمان، وقد تحوّل الإنسان معها إلى سِلعة وبضاعة، مُستهلِك لما يُنتَج من بضائع لا نهاية لها، وأضحى الناس مجرّد أرقام صمّاء.

وإنّ ما نشهده اليوم في المجتمعات التي تخلّت عن الإيمان والالتزام الدينيّ، من تفشّي لظواهر الانتحار والعنف، والاغتصاب والإدمان، والأمراض القاتلة...، هو خيرُ دليل على ما بلغته الحضارة الغربيّة من أزمة وجوديّة، تدلّ على ضياع الإنسان وحيرته اليوم، وضبابيّة تصوّره لقيمة الدّين ودور الإيمان القادر على تحقيق التوازن المفقود ضمن قاعدة الاعتدال والوسطيّة، قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[1]. فهذه القاعدة من شأنها إيجاد التوازن بين مطالب الروح والجسد، كما تضمن عقلانيّة التديّن لتحقيق رسالة الدّين الإنسانيّة، وحماية المتديّنين من الانزلاق نحو التطرّف والتعصّب، والغرائزيّة والتّقليد الأعمى.

وبناءً على هذا الفهم للدين تتبلور نظرة الإنسان إلى الحياة والكون ومفاهيمه في شتّى المجالات، التي تسهم في بنائه الفكريّ والأخلاقيّ والاجتماعيّ والتربويّ...، وإنّ التربيّة العقديّة المرتبطة بالسماء والوحي هي التي تبني الإنسان الصالح وتحصّنه، وهي التي توازن بين طاقة الروح

(1) سورة الفرقان، الآية 29.

وطاقة العقل وحاجات الجسد، وتوازن بين معنويّة الإنسان ومادّيّته، وبين ضروريّات الإنسان وكماليّاته، وبين واقعه وما ينشده من كمال، وتوازن بين نزعاته الفرديّة ونزعاته الجماعيّة، وبين إيمانه بعالم الغيب وعالم الشهادة، بل وتوازن في طعامه وشرابه وملبسه ومسكنه ومنكحه ...، لا إسراف ولا تقطير؛ وإنّما توازن يؤدّي إلى التوسّط واعتدال؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[1]؛ يعني وسطًا في كلّ شيء. وما يعزّز هذه المسألة هو الاقتران، بل التلازم الدائم والضروريّ والشامل بين الإيمان والعمل الصالح؛ بحسب ما ورد في القرآن الكريم.

قال الله -تعالى-: ﴿... إِلاَ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ...﴾[2]، ﴿إِلَا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ...﴾[3]، ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى... ﴾[4]. ﴿... إِلَا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا...﴾[5]، ﴿إِنَّ الِذَّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾[6]. فالقاعدة المستفادة من هذه الآيات وغيرها؛ هي: عدم وجود إيمان بلا عمل، والعمل يجب أن يكون صالحًا، منسجمًا مع الشريعة المقدّسة. وكلّ عمل من شأنه أن يهدي الناس أو يرفع من مستواهم العلميّ أو العمليّ أو الثقافيّ أو... هو عمل صالح، والعمل الصالح هو الجانب العمليّ للإيمان؛ فـ«**الإيمان عمل كلّه**».

إنّ هذا الاقتران ليس من قبيل الإثنينيّة المميّزة لأحدهما عن الآخر، بل من قبيل التكامل الماهويّ والتلازم السببيّ، بحيث لا يكتمل أحدهما من دون الثاني، فهما؛ أي الدين والتديّن يشكّلان الإطار الخلاصيّ للإنسان.

(1) سورة البقرة ، الآية 143.
(2) سورة مريم، الآية 60.
(3) سورة الفرقان، الآية 70.
(4) سورة الكهف، الآية 88.
(5) سورة سبأ، الآية 37.
(6) سورة مريم، الآية 96.

وهو ما تؤكّده الروايات، فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام «**ليس الإيمان بالتحلّي ولا بالتمنّي، ولكنّ الإيمان ما خلص في القلوب وصدّقته الأعمال**».[1] وعن سلام الجعفي، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الإيمان، فقال: «**الإيمان أن يطاع الله؛ فلا يعصى**»[2].

وخلاصة القول: إنّ الإيمان كلٌّ لا يتجزّأ، ويرتكز على ثلاثة مقوّمات؛ هي: الاعتقاد، والإقرار، والعمل. عن أبي الصلت الهروي، قال: سألت الرضا عليه السلام عن الإيمان، فقال عليه السلام: «**الإيمان عقد بالقلب، ولفظ باللسان، وعمل بالجوارح، ولا يكون الإيمان إلاّ هكذا**»[3].

(1) الحرّاني، ابن شعبة: تحف العقول، ص370 .
(2) الكليني، محمد بن يعقوب: أصول الكافي، ج2، كتاب الإيمان والكفر، ح3، ص33.
(3) الصدوق، محمد بن بابويه: معاني الأخبار، باب الإيمان والإسلام، ص186.